أما إذا نص الدارس فى استقراء اللغة على الاستحسان أو الاستهجان فقد أقحم على موقفه الوصفى معنى دخيلا يتعلق بآرائه الشخصية أو إحساسه تجاه الاستعمال ، لكن لا علاقة له بوصف اللغة ، وهو مرفوض من وجهة النظر الحديثة ، فليس من عمل الباحث أن يفاضل بين اللغات أو اللهجات ، وليس من عمله أن يصف مسلك اللغـــة بالجودة أو الرداءة ، إذ يجب عليه — كما يقول دى سوسير — أن يدرس اللغة فى ذاتها ومن أجل ذاتها ، آخذا فى اعتباره أن كل لغة أو لهجة نظام اجتماعى يحقق الصلة بين الناطقين به ، وعليه أن يصف خصائص هذا النظام فقط ، سواء منه ما كان مطردا أم ما تفرد عن هذا الاطراد .

● يقول سابير : من رأى علماء اللغة أن كل اللغات واللهجات — من الناحية التاريخية — فى منزلة واحدة (١) .

ويدل ذلك صراحة على أن لكل لغة أو لهجة ما قيمتها ، وأنهما فى منزلة واحدة ، ويفهم منه أنه من واجب الباحث أن يلزم نفسه ترك تفضيل لغة على أخرى ، أو فصحى على لهجة ، أو ذكر أحكام الاستحسان أو الاستهجان على المادة اللغوية التى يدرسها .

وفى ضوء ذلك يمكن فهم موقف النحاة العرب فى التفضيل بين ما أطلقوا عليه : « لغات القبائل »

لقد أقحم النحاة هذه الأحكام على مادة اللغة نتيجة الفهم العام للغات القبائل ، إذ اعتبروها جميعا من اللغـــة الفصحى ، أما تعدد صور النطق — وكلها حجة — الذى يحدث الاختيار والتفضيل بين بعضها والبعض الآخر فهو — فى فهمى — أسلوب متناسب يحدث عادة مع ما فهموه وتعارفوا عليه من حجية اللغات .

(١) Selected Writting of Edward Sapir, P. 87.